العرب وانتشار اللغة العربية في أفريقيا الشرقية في العصر الإسلامي

علي منصور نصر
قسم الدراسات العامة - كلية الآداب
جامعة البحرين

Abstract

Eastern Africa is defined as the area that surrounds Eritrea, Djibouti, Somalia, Ethiopia, Kenya, Tanzania, Mozambique, and Madagascar. This paper discusses the early contacts the Arabs made with Eastern Africa. Before the birth of Christ, and for commercial reasons, such contacts led to the fusion of some Arabs with Africans who borrowed from their culture, eventuallyleading to the spreadof Islam. The Islamic religion spread in the 7th century AD due to Arab contacts on the African Eastern Coast where they established a series of commercial centers.

Due to these activities, Arabic spread among Africans, as it became the language of business in that period. Another factor that led to the same result is the Arab migration to this area in the age of the four orthodox caliphs and the Umayyad and Abbasid periods. Due to these migrations, a new generation appeared with AfroArab characteristics as a result of marriages between the two communities.

This situation continued until the end of the Middle Ages when the Portuguese occupied these areas and then followed by the Germans, the Italians and the French. After that Arabic started to dwindle though still spoken in many of these areas.

In conclusion, the Arabs were the main reason for the spread of Arabic during that period and until the end of the Middle Ages. However, after the conlonizers occupied these areas Arabic started to dwindle.

تاريخ استلام البحث: 1998/10/26 تاريخ قبول البحث: 1999/8/28

ملخص

تعرف شرق أفريقيا المنطقة المنطقة الممتدة من أرتيريا، جيبوتي، الصومال، أثيوبيا، غينيا، تنزانيا، موزنبيق، ومدغشقر. تبحث هذه الورقة الاتصالات المبكرة للعرب مع شعوب شرق إفريقيا، حيث كانت الدوافع التجارية من أهم أسباب هذه العلاقات التي أدت إلى تأثر شعوب هذه المنطقة بالثقافة العربية، زمن ثم انتشار الدين الإسلامي. فقد أقام العرب سلسلة من المراكز التجارية على طول ساحل الشرق الإفريقي في القرن السابع الميلادي، مما أدى إلى انتشار اللغة العربية، التي أصبحت لغة الأعمال خلال تلك الفترة.

كذلك، أسهمت هجرة العرب الى هذه المنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين وفترة الحكم الأموي العباسي الى ظهور جيل جديد من الأفارقة من أصول عربية نتيجة للتزاوج بين العرب والأفارقة. وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية العصور الوسطى عندما احتلت البرتغال هذه المنطقة وطمعت من بعدها ألمانيا وإيطاليا وفرنسا مما أدى الى تراجع اللغة العربية. ومع ذلك، فإن العديد من شعوب هذه المنطقة تتكلم اللغة العربية.

شرق أفريقيا أو أفريقيا الشرقية التي نقصدها في هذا البحث هي المنطقة التي تمتد من شمالي أريتريا وحتى مدينة سفالة جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق، أي أنها تشمل ما يعرف الآن بدول أريتريا وجيبوتي والصومال وأثيوبيا وكينيا وتنزانيا وموزمبيق، وما يقع أمام هذه الدول من جزر صغرت أم كبرت، بعدت عن الساحل أم قربت منهن مثل جزيرة زنجبار وجزيرة كلوة، وجزيرة مدغشقر، وجزر القمر.

وقبل أن نتحدث عن العرب ودورهم التاريخي في نشر اللغة العربية في أفريقيا الشرقية في العصر الإسلامي والوسيط لا بد أن نشير أولاً إلى أن تفسير الظاهرة اللغوية الطارئة،أقصد انتشار اللغة – أي لغة – في أي مكان غير مكان اللغة الأصلي يمكن أن ينتج عن عوامل عديدة منها أن هذه اللغة الوافدة تكون لغة دين جديد وافد ينتشر أو تتاح له فرصة الانتشار في هذا الموطن الجديد، أو لغة تجارة وحضارة متفوقة، أو لغة مستوطنين هاجروا بكثافة وحكموا منطقة ما فيعملون على نشر لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أو لغة مستعمرين يفرضون نفوذهم ولغتهم بوسائلهم المعروفة. وانتشار اللغة العربية في أفريقيا الشرقية نتج في الواقع عن أكثر من عامل من هذه العوامل، فهي لغة دين وافد على شرق القارة هو الإسلام، وهي لغة تجار من العرب اتصلوا بهذه المنطقة قبل ظهور الإسلام وبعده، وهي لغة مستوطنين هاجروا إلى هذه البلاد واتخذوها موطناً ومستقراً لهم حتى صاروا من أهلها، بل حكموا معظمها وكونوا فيها إمارات وسلطنات إسلامية عديدة، واللافت للنظر أن أغلب هؤلاء المستوطنين والتجار وحملة الدين الوافد إلى إفريقيا الشرقية كانوا من العرب. ولذلك كان لا بد أن نركز الحديث عن اتصال هؤلاء العرب بشرق القارة لنرى مدى تفاعلهم مع أهلها حتى نخلص إلى حدوث هذه الظاهرة اللغوية مقصدنا في هذا البحث. ولما كان هذا الاتصال حقيقة تاريخية ومعروفة، فمتى حدث هذا الاتصال؟ وما أشكاله؟ وما مدى فاعليته في نشر اللغة العربية في إفريقيا الشرقية؟ وهل كانت هذه الفاعلية في مستوى ما حدث في مصر وشمال القارة حيث تحولت هذه المنطقة من القارة إلى بلدان عربية؟ أم أن هناك من العوامل ما أدى إلى ضعف هذه الفاعلية في مرحلة تاريخية معينة وأدى بالتالي إلى ما نراه الآن من ضعف الوجود اللغوي العربي في شرق القارة، بعكس ما كان عليه حال هذا الوجود كما سنراه في العصور الإسلامية

الوسطى؟

وللرد على هذه الاستفسارات أو التساؤلات نستطيع القول إن العرب اتصلوا بإفريقيا الشرقية بعد ظهور الإسلام وكذلك قبل ظهوره بقرون عديدة تمتد إلى عصر ما قبل الميلاد. وقد حدث هذا الاتصال الموغل في الزمن لأسباب عديدة، منها القرب المكاني، فبلاد العرب تطل على منطقة القرن الإفريقي عبر البحر الأحمر وباب المندب الذي سهل العبور للعرب والأفارقة إلى كل بلد آخر، كما أن بلاد العرب الجنوبية كانت تطل على ساحل إفريقيا الشرقية عبر بحر العرب وبحر الزنج الذي كانت تمخره السفن القادمة من عمان حضرموت، ساعد على ذلك اكتشاف العرب للرياح الموسمية التي دفعت بهم إلى الإبحار بتجارتهم إلى هذا الساحل ثم العودة منه إلى بلادهم في يسر وسهولة، منذ القرن الأول للميلاد،[١] بل إنهم وقبل ذلك بقرون عديدة عرفوا هذه المنطقة من القارة، ولم تصل باقي الأمم إليها إلا بعدهم وبواسطتهم، فقد نزل العرب المنطقة من القارة، ولم تصل باقي الأمم إليها إلا بعدهم وبواسطتهم، فقد نزل العرب المنطقة الممتدة بين رأس جوردفوي في الصومال شمالاً إلى رأس دلجادو في موزمبيق جنوباً وأطلقوا عليها ساحل الزنج أو بر الزنج، وعرفها الفرس فيما بعد باسم زنجبار، وأسس العرب هناك قبل الميلاد بعشرات القرون مراكز تجارية هامة بطول الشاطئ فيما يلي خليج عدن[٢]. وهناك الكثير من الأدلة الأثرية والتاريخية، ما يؤكد صحة هذا القول[٣].

وقد نتج عن هذا الوجود العربي في شرق أفريقيا قبل الميلاد أن ازداد اختلاط العرب بالأفارقة الذين ألفوهم ونهلوا من ثقافتهم عبر عصور طويلة حتى إنه في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد أو قبلها بقليل اتخذت ثقافة ساحل شرق أفريقيا مسحة عربية[٤]. وقد تطورت هذه العلاقات بين العرب والأفارقة إلى قيام حكم في بعض أجزاء الساحل الإفريقي يدين لهؤلاء العرب بالولاء، يدل على ذلك ما ذكره الملاح الإغريقي في كتابه الدليل الملاحي للبحر الأريتري Pripulus of the Eretrian sea الذي ألفه في القرن الأول للميلاد أن بعض زعماء الساحل كانوا يدينون بالولاء لملوك حمير حكام بلاد اليمن، وأن أميراً معافرياً يمنياً كان له سلطان أو نفوذ في ميناء رهابتا أو ربطة كما سماها الجغرافيون العرب فيما بعد، والتي تعرف الآن باسم كويليمين، وتقع على الفرع الشمالي من دلتا الزمبيزي قرب مصب نهر

(أوفيجي) وتعتبر آخر محطة تجارية على ساحل أزانيا. كما أن أمراء من العرب كانوا يحكمون في بعض نواحي الصومال، وكذلك كانت زنجبار خاضعة لسلطان عربي، ولم يخف صاحب هذا الكتاب دهشته مما رآه من كثرة السفن العربية التي كانت تأتي من جنوب الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا لنقل السلع التجارية، كما كان يعجب من اختلاط العرب وتزاوجهم من الإفريقيات، مما أدى إلى تعدد العناصر على هذا الساحل وإلى تطلعها إلى التعرف على اللغة العربية ومحاولة التحدث بها لما تتيحه لهم من آفاق واسعة في التجارة وفي التعامل مع التجار العرب مع من استقر منهم على الشاطئ(٥).

وقد ازداد اتصال العرب بشرق أفريقيا منذ ذلك التاريخ نتيجة لازدياد النشاط التجاري ونتيجة لانهيار سد مأرب في عام ١٢٠م مما أجبر كثيراً من عرب اليمن إلى الهجرة إلى بلاد عديدة منها بلدان ساحل شرق أفريقيا، يدل على ذلك أن الأثريين عثروا على عملات عربية بل وهندية وصينية وفارسية ورومانية ويونانية أقبل بها العرب إلى أرض الساحل وتعود إلى ما قبل عام ٥٠٠م كما عثروا أيضاً على أوانٍ فخارية وزجاجية تعود إلى هذه الفترة مستوردة من الصين والهند وفارس وبلاد العرب، يعزز ذلك ما عثر عليه جارفس ماتيوزن وهو حجة في آثار شرق إفريقيا، في عام ١٩٥٠ من آثار منازل في جزيرة سنجي ياكاتي الصغيرة التي تقع قرب جزيرة كلوة، يقول عنها إنها أقدم مستوطنة تجارية عثر عليها حتى الآن، ويرجح أن ثقافتها مستمدة من جنوب الجزيرة العربية نتيجة للاتصال بينهما منذ عصور بعيدة قبل الإسلام(٦).

ولما ظهر الإسلام في بداية القرن السابع الميلادي ازداد اتصال العرب ووجودهم على الساحل الشرقي لأفريقيا قوة ووفرة وكثافة، خاصة أن الدولة العربية الإسلامية سيطرت على طرق التجارة البحرية العالمية المعروفة وقتذاك ومنها طريق البحر الأحمر ومضيق باب المندب والخليج العربي ومضيق هرمز، وعلى مياه المحيط الهندي وبحر الزنج، وتبوأ العرب مكان الزعامة في مجال النشاط البحري والتجاري في المحيط الهندي كله وازداد نشاطهم مع ساحل شرق أفريقيا لأنهم كانوا أدرى به وبحاصلاته، وأقاموا هناك مراكز تجارية على طول هذا الساحل من شماله في بلاد الصومال حتى جنوبه في موزمبيق(٧).

وقد أشار الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب المسلمون إلى هذه المراكز وإلى هذا

النشاط التجاري الواسع الذي قام بين العرب والمسلمين وبين شرق أفريقيا، وإلى كثرة مجيء التجار العرب إلى هذه المنطقة من القارة. يفهم ذلك على سبيل المثال من كلام المسعودي (ت ٣٤٦/ ٩٥٧م) الذي أشار إلى أن مراكب العمانيين كانت تقطع خليج بربرة إلى ساحل شرق أفريقيا حتى جزيرة قنبلو (مدغشقر) من بحر الزنج، وأن السفن العربية العمانية وصلت جنوباً حتى سفالة في موزمبيق، وأنه ركب سفينة من صحار العمانية إلى هذا الساحل ثم عاد من قنبلو إلى عمان في عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م على متن سفينة كان صاحبها ناخوذة سيرافي[٨]. ويشير رحالة معاصر للمسعودي وهو بزرك بن شهريار الرامهرمزي إلى النشاط التجاري والبحري للعرب والعمانيين منهم خاصة في بحر الزنج ويقول: "إن الناخوذة العماني اسماعيلويه ذكر له أنه خرج هو وجماعة من البحريين من عمان في مركبة يريد قنبلة (مدغشقر) في عام ٣١٠هت/ ٩٢٢م، فعصفت بهم الريح وطرحت المركب إلى سفالة الزنج[٩] كما أشار ابن بطوطة إلى رحلة تجارية بحرية من كلوة إلى ظفار في جنوب جزيرة العرب كان هو أحد أفرادها، وذلك عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م[١٠].

ويعطينا هذا الرحالة العربي الشهير صورة جميلة عما كان يجده التجار العرب وغير العرب من إكرام وترحيب عندما كانوا ينزلون بميناء مقديشو، وأن شباب مقديشو كانوا يستقبلون أي سفينة بالنزول إليها في صنابيقهم (أي قواربهم الصغيرة) ويحمل كل منهم طبقاً مليئاً بالطعام يقدمه لتاجر من تجار المركب ويقول هذا نزيلي، فينزل التاجر في داره ويساعده هذا الشاب في بيع سلعه ويشتري له ما يلزمه[١١]. ولذلك كثر مجيء التجار العرب إلى موانئ أفريقيا الشرقية، وكانت سفنهم تحمل السلع الإفريقية من رقيق وعاج وذهب وغيره من موانئ ممبسة ومالندي وغيرهما وتبيعها في جزائر الهند، ووصل نشاطهم إلى بلاد بعيدة تقع جنوب نهر الزمبيزي على ساحل شرق إفريقيا لم يكن لها سفن تحمل بضاعتها، فكانت تحملها السفن العمانية[١٢] التي بلغ عددها في أسطول وصل إلى هذه البلاد في عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م ست عشرة سفينة[١٣].

والجدير بالذكر أن الوجود العربي لم يكن قاصراً على الساحل الشرقي لأفريقيا فقط، بل إنما كان في الداخل أيضاً بعكس ما قاله معظم المؤرخين المحدثين مسلمين وغير مسلمين من أن نشاط العرب في العصور الوسطى كان قاصراً على الساحل فقط وعلى الجزر المواجهة له،

ولم يتعد ذلك إلى الداخل إلا في القرن الثامن عشر للميلاد(١٤). وهذا أمر غير صحيح، ذلك أن عرب الساحل كانوا في حاجة إلى منتجات المناطق الداخلية البعيدة من الذهب والعاج والرقيق والحديد وغير ذلك، فأسرعوا واخترقوا الفيافي والقفار والغابات حتى وصلوا إلى أعماق بعيدة في قلب القارة، وكانوا يستقرون هناك لفترات قد تطول وقد تقصر في عدد من الأماكن على طول الطرق التي كانت تربط الساحل بالداخل مما أدى إلى وجود مراكز تجارية أو مستوطنات صغيرة منتشرة على طول هذه الطرق(١٥).

وهذا الربط بين الساحل والداخل على هذا النحو يفسر لنا الشبه القوي بين نماذج الفخار التي وجدت في مالندي وبعض مدن كينيا الأخرى وبين نماذجها القديمة التي وجدت في زيمبابوي القديمة، وفي مابنقابوي في الداخل، تلك النماذج التي يرجع تاريخها بعد فحصها ودراستها إلى القرن الرابع عشر للميلاد أو قبله، مما يدل على أن زيمبابوي وجاراتها من الأقاليم القريبة منها كانت وثيقة الصلة بمدن الساحل في العصر الوسيط، وكانت هذه الصلة موجودة دون انقطاع فيما يرجحه العلماء منذ القرن العاشر للميلاد على الأقل. ولعل ذلك يفسر لنا سر الازدهار الحضاري الذي شهدته زيمبابوي فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر للميلاد(١٦) كما يفسر أيضاً ما ذكره بعض المؤرخين من أن تجار العرب كان لهم وجود ملموس في هذه الدولة منذ القرن العاشر للميلاد، وكانت لهم مستوطنة عربية بها عدة آلاف منهم في مدينة تسمى سينا Senaعلى نهر الزمبيزي في أحد أقاليم مملكة كارانجا Karangaالأفريقية التي عرفت فيما بعد باسم زيمبابوي، وقد وجد البرتغاليون عندما قدموا إلى هذا المكان هذه المستوطنة العربية فأزاحوها، ورغم ذلك ظلت بقايا التأثير العربي في هذه المملكة حتى القرن التاسع عشر للميلاد(١٧).

وقد أشار جيان إلى مملكة داخلية تسمى مملكة مونوموتابا وإلى أن هذه المملكة كان بها مسلمون وكانت بطانة الملك من المسلمين(١٨) ذلك أن العرب قدموا إليها بعد ظهور الإسلام منذ القرن الثامن للميلاد لاستخراج الذهب أو لشرائه وشراء الحديد والعاج، وكانوا يصعدون إلى هذه المملكة عبر نهر سابي، ويبدو أنهم أسسوا فيها أسواقاً منتظمة منذ زمن بعيد مما أدى إلى انتشار الإسلام فيها حتى اصبح ندماء الملك من المسلمين. وقد أثر هؤلاء الندماءفي هذا الملكالذي كان قد تنصر في عام ١٥٦٠م على يد الأب جونسالف دي سفليرا الذي ينتمي إلى

طائفة الجزويت البرتغاليين، فاستمع الملك إلى نصحهم وترك المسيحية وقتل من أغراه باعتناقها، كما قتل خمسين ممن تنصروا[١٩].

وإذا كان العرب قد توغلوا في الداخل على هذا النحو كتجار ودعاة للإسلام، فإنهم بالأحرى كان لهم وجود ملحوظ في الجزر التي تواجه الساحل والداخل مثل جزيرة زنجبار، وجزر القمر، وجزيرة مدغشقر وغيرها. وفيما يختص بزنجبار فقد وصل إليها التجار العرب وخاصة العمانيون منذ القرن الأول للهجرة حتى قال أحد التجار الصينيين الذي وصل إليها في عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٦م، إن سكانها من العرب[٢٠] وقال غيره إن حكامها كانوا من العرب أيضاً، وكانت لهم سيطرة قوية على شعب الجزيرة، وأنهم جعلوها مركزاً تجارياً هاماً غير خاضع لأي سيطرة خارجية، ولذلك قاوموا السيطرة التي فرضتها سلطنة كلوة الشيرازية على تجارة الذهب، كما أكدوا الروح الاستقلالية بأن قاموا بسك عملتهم الخاصة بهم في القرن الخامس عشر للميلاد[٢١] فقد اتسموا بالقوة والشجاعة، وكانوا محاربين أشداء كما وصفهم بذلك ماركوبولو فيما كتبه عنهم عام ١٢٠٥م[٢٢].

أما جزر القمر التي هي الآن دولة إسلامية وإحدى دول جامعة الدول العربية فقد وصل إليها العرب أيضاً منذ وقت مبكر. فقد أشارت بعض المراجع إلى أن إحدى جزرها وهي جزيرة أنجوان قد فتحها العرب في القرن الثالث للهجرة،[٢٣] وقد نزلها عرب من عمان وعرب من حضرموت إذ كانت السفن العربية تتردد عليها وعلى غيرها من جزر القمر الأربع كل عام من أجل البيع والشراء ونقل السلع والمتاجر[٢٤]. ويذكر المسيو كارتي في كتابه المسمى جزر أفريقية في بحر الهند "أن أسرة عربية عمانية أقامت في عاصمة جزيرة أنجوان وحكمتها"، كما يذكر الدكتور نيقولا دي بلانتيه في كتابه "القمر الكبرى" "أن عرباً من عمان دخلوا جزيرة نجازيجا (أنجزيجة) في القرن العاشر للميلاد، ولذلك وجد فيها كثير من بني نبهان وبني يعرب العمانيين[٢٥] ونتج عن ذلك أن انتشر الإسلام واللغة العربية بين أهل هذه الجزر حتى أصبحت لغة الدواوين والدين، ولغة كثير من الناس بجانب السواحلية.

كذلك فقد نزل العرب من التجار جزيرة مدغشقر (مالاجاش) منذ وقت مبكر. فقد وصل إليها الملاحون العمانيون ونزلوا على شواطئها الجنوبية الشرقية منذ القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، كما وصلوا إلى شمالي الجزيرة، ونتج عن ذلك أن ظهرت

مدينة تسمى مدينة (سالالا) بناها العمانيون القادمون من مدينة صلالة العمانية وسموها على اسم مدينتهم تلك[٢٦]، وفي منطقة فورديفان التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي طائفة من الناس يعتقدون بأنهم من أصل عربي وأن أوائلهم كانوا مسلمين ويحتفظون بمخطوطات عربية، ويحتفلون بختان أولادهم ويفخرون بأصلهم العربي[٢٧]. وهناك أيضاً مدينة ليرانة التي تقع على الشاطئ الشمالي الغربي للجزيرة التي قال عنها ابن سعيد المغربي أنها بلد حط وإقلاع، وذكر الكاتب البرتغالي باربوسا أنها كانت مأهولة بالعرب، ونزل البرتغاليون بهذه المدينة في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م[٢٨]، وذكر المسعودي أن السفن العمانية كانت تقطع بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو - وهي جزيرة مدغشقر - وأنه هو نفسه ركب من عمان إلى هذه الجزيرة ومنها عاد إلى عمان في عام ٣٠٤هـم٩١٦م[٢٩]، ولذلك ليس بغريب ما قاله جيان من أن مملكة عربية قامت في بعض نواحي جزيرة مدغشقر قرب خليج بويني تسمى مسلج، وأن أهلها كانوا يتكونون من جالية عربية من مختلف عرب إفريقيا الشرقية وبخاصة جزيرة بات.[٣٠] وقد أدى ذلك كله إلى انتشار اللغة العربية والإسلام بين كثير من قبائل هذه الجزيرة مثل قبيلة الأنتيميرونا التي تحتل جزءاً من الساحل الجنوبي الشرقي، وقبيلة الأنكارا. وقد عرف أهل القبيلة الأولى الكتابة العربية بعد اعتناقهم الإسلام[٣١].

وإذا كان التجار والتجارة هي وسيلة العرب الأولى للاتصال بإفريقيا الشرقية ساحلاً وداخلاً وجزراً، فإن وسيلتهم الثانية لذلك كانت الهجرة إلى هذه المنطقة من القارة.

وموضوع هجرات العرب إلى إفريقيا الشرقية موضوع كبير ونكتفي بالإشارة هنا إلى أهم الهجرات التي وردت عند المؤرخين، ذلك أن هذه الهجرات كان لها أثرها الكبير في نشر اللغة العربية والإسلام في شرق القارة وأسباب هذه الهجرات تعود إلى الصراع السياسي والديني الذي ظهر على الساحة في الدولة الإسلامية منذ عهد بني أمية، مما أجبر الكثيرين على النزوح إلى شرق إفريقيا إما هرباً من اضطهاد الحكام لهم، أو طمعاً في المتاجرة مع أهل هذه المنطقة من القارة التي اشتهرت بمواردها الغنية من العاج والذهب والرقيق والحديد وغير ذلك من منتجات أفريقيا الشرقية[٣٢].

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين هاجر إلى تلك المنطقة عرب كثيرون سواء إلى منطقة القرن الإفريقي أم إلى منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا فيما يلي ذلك القرن، ومعروف أن علاقات

ودية قامت بين العرب وبلاد الصومال والحبشة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وظلت هذه العلاقات قائمة بعد وفاته مما أدى إلى كثرة توافد العرب المسلمين على هذه البلاد من أجل التوطن والتجارة، وأسسوا بالتدريج مراكز استقرار على الساحل الغربي للبحر الأحمر. وأول عربي مسلم نسمع أنه هاجر واستقر بالحبشة هو ود بن هشام المخزومي وذلك في خلافة عمر بن الخطاب(٣٣) ثم تتابعت الهجرات العربية إلى الحبشة وساعد انهيار مملكة أكسوم الحبشية في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد على ازدياد الهجرات إلى هذه البلاد وإلى بلاد الزيلع الصومالية وإلى سيطرتهم على موانئ عدول وزيلع ومصوع وبربرة. ولم يلبث أن امتزج العرب المسلمون بالوطنيين وصاهروهم، فأخذ الإسلام والعروبة ينتشران تدريجياً حتى أحاطت الرقعة العربية الإسلامية بهضبة الحبشة من الشرق والشمال والجنوب، ونشأ جيل جديد كان عماد المراكز الإسلامية في بلاد الزيلع والحبشة، تلك المراكز التي ارتبطت بالعرب ارتباطاً وثيقاً تمثل في الدين واللغة وفي الدم أيضاً نتيجة للهجرات العربية المتواصلة إلى هذه البلدان(٣٤).

فقد تسرب العرب إلى مصوع وجزر دهلك ونشروا فيها الإسلام واللغة العربية بدءاً من القرن الأول للهجرة، وتسرب العرب والإسلام واللغة العربية أيضاً إلى شمال الحبشة عبر مواطن البجة وتسربت قبائل جهينة وبلى من الصحراء الشرقية المصرية إلى حدود الحبشة الشمالية "وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها" كما يقول ابن خلدون.(٣٥) وكان البليون المسلمون الذين يسميهم عرب فقيه باسم قبيلة (بلو) أكثر توغلاً داخل الهضبة الحبشية الشمالية حيث سكنوا إقليم التيجري، ومما يؤكد ذلك اكتشاف قبور بها نقوش عربية إحداها تاريخه ٨ ذو القعدة عام ٣٩٦هـ/ يوليه ١٠٠٦م في جنوب ذلك الإقليم(٣٦).

كما هاجر إلى بلاد الزيلع كثير من العرب منهم بنو عبد الدار أو بنو عقيل بن أبي طالب الذين تركزوا في شرق الحبشة وبلاد الزيلع وأقاموا سلطنة إسلامية شهيرة هي سلطنة أوفات الإسلامية حوالي عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م(٣٧)، وقد أشار عرب فقيه إلى عرب مهرة وغيرهم من الأشراف الذين هاجروا واستقروا في بلاد الصومال(٣٨).

كذلك فإن أريتريا حظيت بالعديد من الهجرات العربية التي تتمثل حتى اليوم في العديد من القبائل الأريترية ذات الأرومة العربية التي انتشرت في مختلف أنحاء أريتريا

وخاصة في المناطق الشمالية والجنوبية والساحلية. ومن أمثلة هذه القبائل قبيلة الحباب التي انقسمت إلى كثير من القبائل مثل قبائل بيت أسجدي التي تنتسب إلى الفضل بن العباس وقبائل المدا التي تنتمي إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقبائل الماريا التي تنتمي إلى بني أمية الذين كانوا قد فروا إلى أريتريا عقب سقوط دولتهم تجنباً لاضطهاد العباسيين لهم. وقبيلة أنكالا التي تنحدر من سلالة جعفر الطيار بن أبي طالب، وهي من أقدم القبائل العربية التي استوطنت إقليم دنكاليا بأريتريا، وكانت سلالتها تتوزع بين ميناء عصب وبيلول ودسيت، وقبيلة الحضارم التي جاءت من اليمن، وقبيلة البيدل التي تنحدر من سلالة الزبير بن العوام(٣٩).

وقد ظهر من القبيلة الأخيرة علم من أعلام الدعوة إلى العروبة والإسلام في اريتريا يدعى فقي محمد الذي رحل من مكة المكرمة إلى اليمن حيث التف حوله طلاب العلم، ثم توجه إلى أريتريا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واستقر في إقليم الدناكل (دنكاليا) وأخذ يدعو إلى الإسلام وينشر الثقافة العربية فأسلم على يديه العديد من القبائل بعد أن تزوج من بيت أحد سلاطين المنطقة وأنجب ولداً أسماه علياً، ولما أزمع الرحيل إلى منطقة أخرى في أريتريا للدعوة للعروبة والإسلام عز على السكان أن يفارقهم فقال لهم تركت لكم بديلاً يعني ابنه علياً، ولما كبر ابنه (علي) هذا صار شيخاً وعالماً وتكاثرت أسرته لتكون قبيلة (بيدل) وهي تحريف لكلمة بديل التي تقدم ذكرها، وانتشرت هذه القبيلة في عموم دنكاليا وإقليم تجراي وسلطنة أوسا(٤٠).

وقد تتابعت الهجرات العربية ليس على منطقة القرن الإفريقي فحسب بل وعلى بقية إفريقيا الشرقية بدءاً من مقديشو حتى سفالة جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق. وقد أتت هذه الهجرات في أزمنة متفاوتة من سواحل شبه الجزيرة العربية من الإحساء والبحرين وعمان وحضرموت واستقروا على ساحل شرق إفريقيا وأقاموا محلات ومستوطنات صغيرة تحولت إلى مدن ومراكز هامة نشرت الإسلام واللغة العربية على طول الساحل الشرقي لإفريقيا. ومن أهم هذه الهجرات هجرة سليمان وسعيد الجلنديين من عمان، وهي هجرة أتت من ذلك المكان إلى جزيرة بات في كينيا في الفترة (٧٥-٨٥هـ/ ٦٩٤-٧٠٤م) عندما أجبرهم الحجاج بن يوسف الثقفي على الارتحال إلى هذه الجزيرة بعد أن حاربهم عدة مرات في محاولة منه للقضاء

على استقلالهم ببلادهم عن الخلافة الأموية، وكان سليمان وسعيد ملكي عمان في تلك الفترة، ولما هاجروا إلى بات أقاموا هناك إمارة كان لها أثرها في نشر الإسلام واللغة العربية في هذه المنطقة من القارة(٤١).

كذلك أتت هجرة الزيدية إلى ساحل بنادر بالصومال عقب مقتل زعيمهم زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب على يد الأمويين في عام ١٢٢هـ/ ٧٤١م، ففر أتباعه وشيعته إلى اليمن ورحل بعضهم إلى الصومال حيث استقروا هناك وحكموا ساحل بنادر حوالي مائتي عام أرسوا فيها قواعد الإسلام واللغة العربية في هذه المنطقة من بلاد الصومال. واستقر بعضهم في شنجايا التي يقال إنها في موضع مدينة بورت دانفور الحالية(٤٢).

وهناك ما يعرف بهجرة الأخوة السبعة من بني الحارث الذين هاجروا من الإحساء والبحرين في عام ٢٩٢هت/ ٩٠٤م، حيث أتى هؤلاء ومن لاذ بهم من أهاليهم وأتباعهم من العرب إلى ساحل الصومال نتيجة لاضطرابات سياسية أجبرتهم على الرحيل إلى هذا الساحل، فأقبلوا في سبع سفن ضخمة ونزلوا عند ساحل بنادر وشيدوا مدينة مقديشو في عام ٢٩٥هت/ ٩٠٧م، ومدينة براوة وبعض المراكز الأخرى، وأجبروا الزيدية على النزوح إلى داخل الصومال نظراً لاختلاف المذهب بين الوافدين الجدد والوافدين القدامى من الزيدية، ونشط الفريقان في نشر الإسلام واللغة العربية بين الأهالي(٤٣)، وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد وأعطانا صورة إسلامية رائعة لما كانت عليه الحياة فيها. فقد أشار إلى كثرة مساجدها وإلى كرم أهلها وحسن استقبالهم للتجار، وحرص سلطانها على التحدث باللغة العربية رغم كونه من الصوماليين المحليين الذين أسلموا على يد العرب(٤٤)، مما يدل على مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد.

وهناك أيضاً هجرة أتت من عمان في عام ٦٠٠هت/ ١٢٠٣م، تعرف بالهجرة النبهانية، نسبة إلى سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني الذي تزعمها وقادها من عمان التي كان ملكاً عليها، ونتيجة لاضطرابات سياسية حدثت في وطنه خرج مهاجراً إلى ساحل شرق إفريقيا حيث استقبله العرب في جزيرة بات استقبالاً طيباً، وتزوج من ابنة حاكمها الذي تنازل له عن حكمها، فأقام إمارة أو سلطنة بات الإسلامية التي استطاعت أن تتوسع في المناطق التي تقع شمالها وجنوبها، فضمت قسمايو الصومالية، وممبسة ومالندي الكينية، ووصل نفوذها جنوباً

حتى كلوة وسفالة جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق[٤٥]، ودفعت بالحركة الإسلامية والثقافة العربية في شرق أفريقيا دفعة قوية إلى الأمام.

وقد نتج عن اتصال العرب بأفريقيا الشرقية على هذا النحو سواء عن طريق التجارة، أو عن طريق الهجرة أن بنوا كثيراً من المدن والمراكز التجارية وصل عددها إلى سبع وثلاثين مدينة امتدت بطول الساحل من مصوع في أريتريا شمالاً حتى سفالة جنوباً[٤٦]. وقد تطورت هذه المدن نتيجة لازدياد العمران بها ونتيجة لوصول هجرات عربية متتالية كما سبق القول إلى قيام إمارات وسلطنات أقامتها الأرستقراطية العربية وطبقة التجار العرب والمهاجرون العرب الذين وفدوا إلى هذه البلاد على مدى قرون من ظهور الإسلام وحتى نهاية العصور الوسطى. من هذه السلطات ثلاث في منطقة القرن الإفريقي هي سلطنة شوا الإسلامية التي قامت في الجزء الشرقي من هضبة الحبشة الشمالية شرق أديس أبابا الحالية وامتدت تجاه ساحل البحر الأحمر واستمرت في الوجود أربعة قرون من الزمان (٢٨٣-٦٨٤هـ/ ٨٩٦-١٢٨٥م) على يد بني مخزوم العرب الذين كانوا قد هاجروا إلى هذا المكان وأقاموا هذه السلطنة[٤٧].

كما قامت في المنطقة التي تقع بين هذه السلطنة والبحر الأحمر سلطنة أوفات الإسلامية على يد أسرة عربية من بني عبد الدار أو بين عقيل بن أبي طالب الذين كانوا قد هاجروا إلى هذه المنطقة منذ أمد بعيد كما سبق القول في حديثنا عن الهجرات، واستطاعت هذه السلطنة أن تتوسع وتضم سلطنة شوا السابقة وتصبح أقوى ممالك الزيلع الإسلامية التي قامت في منطقة القرن الإفريقي في العصور الإسلامية والوسطى وخاضت حرباً مريرة ضد سيطرة الأحباش على هذه المنطقة في ذلك الحين واستمرت تكافحهم منذ قيامها حوالي عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م حتى سقوطها على أيديهم في عام٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م[٤٨].

ولم تلبث أن قامت سلطنة جديدة على أنقاض السلطنة السابقة وبقيادة نفس الأسرة العربية الحاكمة السابقة، وهي سلطنة عدل Adelالإسلامية التي انشغلت مثل سابقتها بالصراع ضد صليبية الأحباش حتى أرهق هذا الصراع سلاطينها فقام نفر من شعبها يعرفون باسم الأمراء الأئمة واستأنفوا الجهاد ضد الأحباش وحققوا انتصارات ضخمة في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد حتى جاء البرتغاليون وأعانوا الأحباش في التغلب

عليهم والقضاء على مقاومتهم. وكان لذلك العمل انعكاسه على اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد(٤٩).

أما في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا فقد قامت فيه سلطنات عديدة على يد أرستقراطية عربية حكمت هذا الساحل قروناً عديدة حتى مجيء البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر للميلاد. ومن أهم هذه السلطنات سلطنة مقديشو الإسلامية التي قامت على يد بني الحارث المهاجرين إلى ساحل الصومال في عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٣م، كما سبق القول، وفي عهدهم صارت مقديشو سلطنة قوية ذات شوكة ونفوذ على عرب الساحل وعلى المدن التي تحيط بها، وكان تجارها أول من وصل إلى سفالة بسفنهم واستخرجوا منها الذهب ونمت ثروتها حتى أصبحت عاصمة لجميع البلاد المجاورة، كما أصبحت العاصمة الثقافية لساحل الزنج كله وسيدة على كل عرب هذا الساحل نتيجة لما وصلت إليه من نفوذ سياسي وثقافي، ولما قامت به من دور هام في نشر العروبة والإسلام، ولما حظي به العلم والعلماء فيها من أسمى مكان(٥٠).

وإلى الجنوب من مقديشو قامت سلطنة عربية أيضاً هي سلطنة باب النبهانية (كينيا الآن) على يد سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني الذي هاجر من عمان إلى أرخبيل لامو حيث أقام سلطنة كانت بات عاصمتها كما سبق القول وذلك في عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣ من وكما ذكرنا فقد توسعت هذه السلطنة شمالاً وجنوباً حتى ضمت معظم مدن الساحل، وصارت أقوى سلطنة طوال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، ونشطت فيها الحركة التجارية، وتوافد عليها التجار العرب والهنود، وقاموا بنقل الحاصلات الإفريقية إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي وإلى أسواق مصر والشام والعراق مما أدى إلى ازدياد ثروة البلاد، وبالتالي إلى نهضتها اقتصادياً وعلمياً إلى حد كبير(٥١) مما ساعد كثيراً على ازدياد انتشار الإسلام واللغة العربية بين الأفارقة الذين تأثروا بثقافة الإسلام ولغته وعاشوها سواء في الساحل أم في الداخل والجزر.

كذلك قامت سلطنة إسلامية ثالثة اتخذت من جزيرة كلوة عاصمة لها وتوسعت في الجزء الجنوبي من الساحل حتى تتفادى نفوذ سلطنة بات وسلطنة مقديشو حتى وصل نفوذها إلى جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. وقد أقام

سلطنة كلوة (تنزانيا الآن) أناس وفدوا من شيراز بفارس بقيادة علي ابن حسن بن علي الشيرازي في عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م، وحكمها نفر من أولاده وأحفاده حتى ورثها قوم من العرب من بيت المهدلي اليمني الذين استطاعوا أن يقيموا أسرة المهدلي العربية في حكم سلطنة كلوة فتحولت هذه السلطنة من سلطنة شيرازية فارسية إلى سلطنة عربية وذلك منذ عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧٧م[٥٢] مما أدى إلى بروز الطابع العربي فيها حتى قال جيان إن كلوة خرج منها أكبر شطر من السكان العرب الذين استوطنوا القارة أو سكنوا الجزر المجاورة وبعض موانئ جزيرة سان لوران أو مدغشقر[٥٣].

كما أشار غيره إلى أن سكان كلوة كانوا يتكلمون اللغة العربية بصفة أساسية، بجانب عدد من لغات أخرى[٥٤]، فلم تكن كلوة فارسية كما ذكر بعض المؤرخين وخاصة الأجانب منهم، وإنما كانت مدينة عربية [٥٦] ساعدت الهجرات العربية المتوالية على طمس معالمها الفارسية[٥٧] فكان معظم سكانها من العرب والأفارقة المحليين الذين كانوا على مذهب الإمام الشافعي كما ذكر ابن بطوطة في رحلته[٥٨]، ولذلك كان لهم فضل كبير في نشر الإسلام واللغة العربية بين الأفارقة سواء في كلوة والساحل أم في داخل القارة.

وإذا كنا قد ألقينا الضوء على اتصال العرب بالأفارقة في أفريقيا الشرقية على النحو الذي طرحناه، وذلك من خلال التجارة والهجرات والاستيطان وإنشاء المدن وإقامة الإمارات والسلطنات الإسلامية التي حفل بها شرق إفريقيا، فلنا أن نتوقع النتيجة التي ترتبت على هذا الاتصال وتلك السلطنات الإسلامية التي أقام معظمها أرستقراطية عربية هاجرت إلى هناك واستقرت كما رأينا على مدى قرون عديدة منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصور الوسطى. تلك النتيجة هي انتشار اللغة العربية بين معظم الأفارقة حتى أصبحت بعض بلدانهم في أفريقيا الشرقية بلاداً ناطقة بالعربية بجانب لغاتها المحلية، وانضمت في النصف الثاني من القرن العشرين إلى جامعة الدول العربية مثل الصومال وجيبوتي وجزر القمر، وأصبح البعض الآخر دولاً متعددة اللغات يتحدث معظم سكانها باللغة السواحلية، وذلك بجانب اللغة العربية التي تميزت عن السواحلية بأنها كانت لغة العلم والتعليم والإدارة والسجلات الدواوين والمراسلات والتجارة في العصور الإسلامية الوسطى، وكانت السواحلية نفسها تكتب بالحروف العربية حتى بداية القرن العشرين، كما كانت ولا تزال تشتمل على آلاف من

المفردات العربية بما لا يقل عن ٢٥٪ من القاموس السواحلي.

ومما ساعد على انتشار اللغة العربية على هذا النحو في العصور الإسلامية والوسطى في إفريقيا الشرقية، ذلك الاختلاط بين العرب الوافدين والأهالي المحليين، واحتكاك الفريقين سواء في مجال التجارة أم في المعيشة داخل قرى ومدن تجمع بينهم. وكثرة المصاهرات التي تمت بين العرب والأفارقة، نظراً لقلة ما كان مع العرب من نساء عربيات، مما كان يؤدي في النهاية إلى دخول كثير من الأهالي الأفارقة في الإسلام وبالتالي يتكلمون العربية بعد أن يتعلموها على يد العرب(٥٩).

ساعد على ذلك أيضاً أن العرب سواء كانوا تجاراً أم دعاة راحلين أم مقيمين كانوا يجمعون بين حرفتي التجارة والدعوة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام في الداخل أو على الساحل والجزر أنشأوا كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، أو بنوا مسجداً لأداء الشعائر الدينية ولتعليم الناس قواعد الإسلام وشعائره الصحيحة ولغته المعبرة عنه وهي اللغة العربية، في نفس الوقت الذي كانوا يقومون فيه بنشاطهم اليومي سواء في التجارة أم في غير ذلك(٦٠)، وربما انقلب دكان التاجر أثناء الليل إلى مكتب صغير يعلم فيه الأطفال والأولاد مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم جلباً للثواب ونشر الإسلام ولغته من جهة، وتوطيداً لعلاقته بالأهالي فيزداد الإقبال عليه وعلى حانوته وسلعه وبضائعه من جهة أخرى. وبذلك أصبحت كل أسرة تقريباً تحتوي على بذرة إسلامية صغيرة تتمثل في هذا الطفل أو ذاك، وبالتدريج يشب هؤلاء الأطفال على الإسلام، وتظهر أسر إسلامية في المحيط الوثني الكبير، وبالتدريج يزداد عدد هذه الأسر التي كانت كثيرة الترحال نظراً لاشتغالها بالرعي وصيد الحيوانات في غالب الأحيان، ومن ثم انتشر الإسلام في ركابها أينما رحلت(٦١).

ونتيجة لانتشار الإسلام بين الأفارقة حتى أصبحت غالبيتهم تدين بالإسلام انتشرت بينهم اللغة العربية، وذلك لأن المسلم كي يؤدي الصلاة ويتعرف على شعائر الإسلام ومعتقداته وفقهه ونظامه لا بد له أن يتعلم العربية حسب الغرض الذي يتعلمها من أجله فيكفيه لأداء الصلاة حفظ أو تعلم عدد محدود من الآيات والسور القصار، أما التفقه في الدين والاشتغال بعلوم الإسلام، أو تقلد الوظائف العامة في الدولة، فلا بد له من حفظ الكثير من القرآن والحديث، ولا يتم ذلك إلا بتعلم اللغة العربية ومعرفتها معرفة جيدة

والتعمق في آدابها وعلومها. وقد بلغ الأفارقة في تعلم العربية والحديث بها درجة جعلتهم يؤلفون بها كثيراً من البحوث والمؤلفات والكتب. والمثال على ذلك الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي المتوفى عام ٧٤٣هـ/ ١٣٢م، والذي كان قد قدم إلى القاهرة وتعلم فيها وألف بالعربية كتاباً في الفقه يسمى الكنز، والمحدث الزيلعي جمال الدين عبد الله بن يوسف صاحب كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية والمتوفى عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦١، والمؤرخ الصومالي شهاب الدين الملقب بعرب فقيه صاحب كتاب فتوح الحبشة الذي ألفه أثناء فترة كفاحه مع الإمام أحمد بن إبراهيم القرين الصومالي في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي ضد صليبية الأحباش، والأديب الصومالي عبد الله منير الزيلعي، وغيره ممن كانت كتبهم تحملها السفن إلى حكام اليمن وغيره(٦٢)، وهناك أيضاً مؤلف من زنجبار ألف كتاباً في تاريخ سلطنة كلوة الإسلامية سماه " السلوة في أخبار كلوة " ورد فيه أن مؤلفه مات يوم الاثنين ثاني من شهر شوال سنة أربع وتسعمائة للهجرة(٦٣).

وهكذا كان لاعتناق الأفارقة للإسلام هذه النتيجة الهامة المتعلقة بانتشار اللغة العربية وخاصة بين المتعلمين والمثقفين والتجار منهم بل والحكام والسلاطين الذين كانوا من غير العرب. وقد لفتت هذه الظاهرة الرحالة ابن بطوطة الذي قال عن سلطان مقديشو إن كلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي(٦٤)، والملفت للنظر أن هذا الرحالة الذي زار عدداً من مدن شرق إفريقيا وهي زيلع ومقديشو وممبسة وكلوة لم يذكر أنه تفاهم مع الناس في هذه المدن عن طريق ترجمان، ولم يشر أن ترجماناً كان يترجم للناس كلام الخطيب الذي كان يقول خطبته في صلاة الجمعة بالعربية، كما كان الحال في دولة مالي الإسلامية في غرب القارة والتي زارها ابن بطوطة وأشار إلى هذه الظاهرة وقال إن هناك ترجماناً يقف وسط المسجد ويترجم للناس هناك كلام الخطيب إلى لسانهم، وأكثر من ذلك فقد أشار ابن بطوطة إلى حكام سلطنة كلوة الذين كانوا شيرازيين وقتها وقال إنهم كانوا يتحاورون مع الناس باللغة العربية وقد شهد ابن بطوطة حواراً من هذا القبيل تم بين السلطان وأحد الصوفية(٦٥). مما يدل على أن العربية كانت لغة حديث عند سكان ساحل شرق أفريقيا.

ولا شك أنه كان لقيام أرستقراطية عربية في حكم العديد من السلطنات الإسلامية في أفريقيا الشرقية التي أشرنا إليها أثره الكبير في نشر اللغة العربية في هذه المنطقة من القارة

لاسيما في منطقة القرن الأفريقي. وقد سبقت الإشارة إلى أن بين مخزوم العرب هم الذين أقاموا سلطنة في(شوا) في شرق هضبة الحبشة وحكموها لمدة أربعة قرون من الزمان، وأن بني عقيل بن أبي طالب هم الذين أقاموا سلطنة أوفات ثم سلطنة عدل في بلاد الصومال وأريتريا وفي جزء من الحبشة وحكموها لأكثر من ثلاثة قرون من الزمان، وأن بني الحارث العرب هم الذين أقاموا سلطنة مقديشو وحكموها لأكثر من خمسة قرون من الزمان، وأن بني نبهان العرب هم الذين أقاموا سلطنة بات وحكموها لأكثر من ثلاثة قرون من الزمان، وأن بيت المهدلي العربي حكموا سلطنة كلوة أكثر من قرنين من الزمان حتى جاء البرتغاليون وأنهوا حكم بعض هذه الأسر العربية. لكن ما يهمنا هنا هو أن هؤلاء الحكام العرب كان لهم تأثيرهم دون شك في نشر اللسان العربي بين الأفارقة حتى تنعم سلطناتهم بوحدة فكرية وثقافية تساعدهم على حكمها وتجعل هذه السلطنات تتواصل مع بقية العالم العربي الإسلامي في يسر وسهولة، ولذلك فقد أخذوا في إنشاء المساجد ليس للعبادة فقط ولكن لتعليم العربية والثقافة العربية الإسلامية، وأكثروا من ذلك حتى أن جزر القمر وحدها كان يوجد فيها ٦٧٠ مسجداً[٦٦] فما بالك بالسلطنات الإسلامية القائمة على أرض القارة؟

يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الحكام العرب عملوا على فتح باب الهجرة أمام غيرهم من القبائل العربية إلى البلاد التي حكموها في إفريقيا الشرقية. مثال ذلك ما أتاحه الزيود الذين استقروا وحكموا ساحل بنادر بالصومال بعد عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، إذ جاء في عهدهم إلى هذا الساحل في عام ١٤٩هـ/ ٧٦م، هجرات كانت مكونة من تسع وثلاثين قبيلة من أكبرها قبائل الشاشيين والدرقية والإسماعيلية والقحطانيين وآل المخزومي، ثم آل الأهدل من حضرموت، كلهم سكنوا ما يعرف الآن بمقديشو[٦٧]، ثم هاجر جماعة من قبيلة حاتم الطائي في عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، إلى مدينة براوة الصومالية التي كان الحرث (بنو الحارث) قد أنشئوها عند هجرتهم إلى هذه البلاد في عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، فقام الطائيون المهاجرون إليها بإنشاء العمائر والمساجد ونشر الدعوة للإسلام في المناطق المجاورة على نطاق واسع، وصارت براوة كجزيرة عربية على ساحل الصومال يأتي إليها طلاب العلم من البوادي والأماكن النائية لشهرة علمائها وتفقههم في الدين، وقد حملت مساجدها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وأصبح بها أكثر من خمسة وعشرين مسجداً عدا الزوايا فعددها كبير، كما

ازداد عدد العلماء والأدباء والشعراء، مما أدى إلى نشاط حركة التعريب مما لم يتح بهذا الشكل لكثير من المدن(٦٨)، وأصبح الانتساب إلى العروبة أمراً ملحوظاً بين كثير من القبائل الصومالية لدرجة أن قبائل الدارود والهاوية والدر وهي كبرى القبائل الصومالية قالت بانتسابها ليس للعرب فقط ولكن لبيت الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم، وأنها هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى الصومال في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، ولذلك فقد حظيت هذه القبائل بمنزلة سامية بين الصوماليين(٦٩)، هذا بخلاف العرب الخلص الذين يقدر عددهم بعشرات الآلاف والذين اشتركوا في معارك الجهاد مع الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي (القرين) في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد وأشار إليهم عرب فقيه إشارات عديدة وقال إن بعضهم من الأشراف الحجازيين، وبعضهم الآخر عرب من حضرموت ومن مهرة وغيرها من عرب الحجاز واليمن(٧٠). وهكذا كان الحال بالنسبة لساحل شرق أفريقيا من جنوب مقديشو حتى سفالة جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق، فقد هاجر إليه الكثير من العرب والقبائل العربية شجعهم على ذلك أن معظم حكام هذا الساحل كانوا من العرب في العصر الإسلامي الوسيط.

وإذا كان الحكام العرب في أفريقيا الشرقية قد سهلوا طريق الهجرة لبني جلدتهم كي يأتوا من مصر والحجاز واليمن وعمان والبحرين وغيرها إلى هذه المنطقة من القارة فإنهم سهلوا أيضاً طريق العلم لنوابغ الطلاب في شرق إفريقيا وذلك بأن أرسلوهم إلى مراكز العلم والثقافة في البلدان الإسلامية مثل الأزهر في مصر، ومدارس الحجاز واليمن وغيرها، بل رحل بعضهم بنفسه وهو صغير السن إلى هذه البلدان كي يتزود ويتبحر في العلم والثقافة(٧١). وكان لهم في مصر رواق يسمى رواق الجبرتية أو رواق الزيلع خصص لأهل أفريقيا الشرقية عامة، ومن ثم رحل إليه كثير من طلابهم وعلمائهم فتعلموا في الأزهر وجاوروا فيه، وبرزوا في ميدان العلم والفقه والحديث ممن سبقت الإشارة إلى بعضهم من أمثال الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي المتوفي في مصر ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، والمحدث الزيلعي جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي المتوفي عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م، والعارف بالله الشيخ علي الجبرتي الذي اعتقد السلطان قايتباي في ولايته وصلاحه وأوصى أن يدفن تحت قدميه(٧٢).

كذلك رحل كثير من أهل أفريقيا الشرقية إلى بلاد اليمن للتعليم أو التعلم. والمثال على

ذلك محمد بن محمد بن موسى الجبرتي الزيلعي القرشي الذي كان فقيهاً فاضلاً مشهوراً، أخذ العلم باليمن عن جماعة من العلماء، وكان صاحب كرامات ومكاشفات وظل هناك حتى توفي عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، ويقول ابن مخرمة المؤرخ العدني أن هذا العالم الزيلعي أخذ العلم في اليمن من علماء كثيرين منهم عبد الله بن عبد الرحمن السفالي(٧٣)، مما يدل على أن بعض طلبة العلم أقبلوا من سفالة التي تقع جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق إلى بلاد اليمن لطلب العلم والثقافة العربية الإسلامية، ومن أمثلة هؤلاء الطلبة أيضاً محمد بن مؤمن الزيلعي الذي رحل إلى بلاد اليمن ونبغ في العلم والسياسة حتى صار سفيراً لصاحب الملك المجاهد جمال الدين إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاون، ثم صار قاضياً فوزيراً للملك اليمني المذكور الذي أكرم هذا العالم الزيلعي "وحمل له أربعة أحمال طبلخاناً، وأربعة أعلام وأقطعة إقطاعاً جيداً" ثم وشى به حساده عند الملك المجاهد فقتله عام ٧٣٦/ ١٣٣٥م(٧٤).

أما الذين رحلوا من طلاب العلم إلى بلاد الحجاز فكثيرون، نذكر منهم على سبيل المثال إبراهيم الجبرتي الذي سكن مصر ثم رحل إلى المدينة المنورة، منهم حفيده محمد الذي قرأ كتاب الكنز والمنار ومات في صفر عام ٨٨٠هـ/ يونيه ١٤٧٥م، ورحل حفيده أبو الفرج إلى مصر وقرأ القرآن.(٧٥) ومنهم دينار العز الحبشي الشافعي الذي رحل حفيده إلى القاهرة ثم إلى المدينة المنورة واستقر في مشيخة الخدام بالمسجد النبوي في عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، وله هناك آثار كثيرة في الفضل والبر وتلاوة القرآن حتى مات عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م(٧٦)، ومنهم أيضاً عبد الرحمن بن الجبرتي الذي رحل إلى المدينة المنورة وكان صوفياً ويقول عن نفسه أنه من ذرية النجاشي المعاصر للرسول صلى الله عليه وسلم(٧٧). ومنهم عبد العزيز الجبرتي المشهور بالزيلعي ذكره ابن فرحون في ديباجه وقال إنه كان كثير التلاوة للقرآن الكريم، ويبدو أنه اتصل بالناصر محمد بن قلاون فأنعم عليه، ولذلك ترك بالمدينة أملاكاً نفيسة من دور ونخيل(٧٨). وهناك الكثيرون من الزيالعة وأهل شرق أفريقيا الذين كانوا يقصرون حياتهم على تعليم القرآن في المدينة المنورة من أمثال عثمان الجبرتي وعمر الزيلعي،(٧٩) وإسماعيل الزيلعي(٨٠)، وعبد الجليل الجبرتي(٨١).

ولا شك أن كثيراً من هؤلاء العلماء وطلبة العلم الذين رحلوا إلى مصر والحجاز واليمن وغيرها سواء للتعلم أو التعليم قد عاد كثيرون منهم إلى بلادهم ونشروا اللسان العربي

والثقافة العربية الإسلامية بين أهليهم. ولا شك أيضاً أن غيرهم من العلماء من أهل الأمصار الإسلامية قد رحلوا إلى إفريقيا الشرقية للاشتغال بالعلم والتعليم والوصول إلى المناصب ذات الصفة الدينية مثل مناصب القضاة وخطباء المساجد والمفتين. وكمثل على ذلك ما أورده أبو مخرمة حينما حدثنا عن الفقيه الصالح عبد الله بن سعد أبي شكيل - وهو أحد فقهاء اليمن، وقال إن هذا الفقيه بعد أن استكمل تعليمه وتفقه في الدين رحل إلى زيلع وتولى فيها منصب القضاء مدة من الزمن(٨٢). وكذلك ما أورده ابن بطوطة حينما ذكر لنا أن قاضي مقديشو هو ابن البرهان المصري الأصل، وكان هو الرجل الثاني في السلطنة المقدشية، وكان يفرش له في مجلس السلطان بساط لا يجلس معه غيره عليه، ولا يبرم السلطان أمراً إلا بعد استشارته(٨٣)،كما أشار هذا الرحالة أيضاً إلى ورود كثير من الشرفاء من أهل الحجاز إلى إفريقيا الشرقية حيث كانوا يلقون الكثير من مظاهر الاحترام والتوقير، وكان بعض سلاطين هذه البلاد يحجز لهم ما يخصهم - وهو نصيب ذوي القربى - من الغنائم التي كانوا يحصلون عليها من جهادهم ضد الأفارقة الوثنيين في داخل القارة، فإذا جاءه هؤلاء الشرفاء دفعه إليهم. ويقول ابن بطوطة إنه رأى بنفسه بعضاً من شرفاء الحجاز في مدينة كلوة، منهم محمد بن جماز، ومنصور بن لبيدة بن أبي نمى، ومحمد بن شميلة بن أبي نمى، كما لقى منهم في مقديشو أتيل بن كيش بن جماز(٨٤).

أما الأشراف الذين وصلوا إلى بلاد الزيلع، أقصد سلطنة عدل الإسلامية واستقروا فيها واشتركوا في أحداثها السياسية، وفي الجهاد ضد صليبية الأحباش فهم كثير أشار إليهم عرب فقيه، منهم الشريف علوي بن علي الشاطري، والشريف محمد بن ناصر الشاطري، والشريف علي بن عمر الحسيني، والشريف الحسيب بن النسيب محمد بن أحمد المرزوق، والشريف محمد هندول، والشريف عبد الرحمن، والشريف نور، والشريف شرف الدين بن علي، والشريف محمود، (٨٥) ولا شك أن هؤلاء الأشراف كانوا على قدر كبير من العلم، وكانت لهم جهودهم العلمية، مما دفع بالحركة الثقافية دفعات قوية إلى الأمام، وكان لذلك أثره الكبير في نشر اللسان العربي، لأن الثقافة السائدة وقتذاك في هذه المنطقة كانت الثقافة الإسلامية نظراً لضآلة الثقافة الإفريقية الزنجية التي لم تكن لها لغة مكتوبة، والتي كانت لها لغات ولهجات كثيرة تعد بالمئات، مما جعل اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة التي يمكنها أن تجمع هذا الشتات ومن ثم تفوقت على اللغات الإفريقية حتى زاحمتها اللغة السواحلية

واستفادت منها إلى حد كبير سواء في المفردات أم في حروف الكتابة.

وهكذا تعددت العوامل التي أدت إلى انتشار اللغة العربية بني الأفارقة في أفريقيا الشرقية على يد العرب في العصور الإسلامية والوسطى، منها التجارة، والهجرات، والحكم العربي لكثير من أقاليمها وبلدانها، وانتشار الإسلام بين معظم أهلها على يد العرب أيضاً، ومنها ما أشرنا إليه من إرسال طلبة العلم الأفارقة واستقبال العلماء القادمين من الأمصار الإسلامية المجاورة، ومن إنشاء الزوايا والكتاتيب والمساجد التي كانت دوراً للعلم والعبادة وتعليم اللغة العربية، ومن اختلاط بين العرب والأفارقة، وكذلك المصاهرات والمعايشة اليومية التي جمعت بينهم سواء في العمل أم في المسكن أم في عمليات البيع والشراء وغير ذلك من أمور الحياة، بالإضافة إلى أن الإسلام كان يجمع الفريقين تحت جناحه، وكان هذا الدين لا تفهم مقاصده وغاياته وشعائره، ولا يمكن التفقه فيه إلا بتعلم اللغة العربية. ومن ثم توفرت الظروف الموضوعية لانتشار اللسان العربي في إفريقيا الشرقية.

لكن يبقى السؤال: مادرجة انتشار اللغة العربية بين هؤلاء الأفارقة في هذه المنطقة من القارة وفي العصور الإسلامية والوسطى؟. وللرد على هذا السؤال نستطيع القول إن جميع بلدان أفريقيا الشرقية كانت بلداناً ثنائية أو متعددة اللغات في تلك الفترة من التاريخ، ولم تأخذ هذه البلدان الصبغة العربية الخالصة كما حدث في مصر وشمالي إفريقيا على سبيل المثال، وتتفاوت درجة انتشار اللغة العربية فيها كلغة حديث. فبعضها كانت اللغة العربية فيها لغة الحديث بجانب اللغة المحلية أي أنها بلاد ثنائية اللغة، والمثال على ذلك ما يعرف اليوم باسم الصومال وجيبوتي وأريتريا وجزيرة زنجبار، وجزر القمر ومعظم المدن الساحلية في أفريقيا الشمالية، وإقليم الأوجادين الصومالي الذي يقع تحت سيطرة الحبشة، فسكان هذه البلاد جميعاً يعرفون اللسان العربي ويتكلمون به مع العرب ويتعلمون به العلم الإسلامي المكتوب باللغة العربية، وهم فيما بينهم يتكلمون بألسنتهم المحلية.

والمثال على ذلك ما ذكره ابن بطوطة عندما زار مقديشو، فقد أشار إلى أن سلطان مقديشو هو "في الأصل من البرابرة" - نسبة إلى مدينة بربرة الصومالية - أي من الصوماليين، "وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي". ولما التقى ابن بطوطة بهذا السلطان في الجامع عقب أداء صلاة الجمعة رحب به السلطان "وتكلم بلسانهم" - أي باللسان

المقدشي – مع القاضي، ثم قال لابن بطوطة باللسان العربي، "قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وآنستنا" (٨٦).

كذلك فقد كانت مؤلفات العلماء والفقهاء والأدباء المؤرخين في أفريقيا الشرقية في العصور الإسلامية والوسطى باللغة العربية، والمثال على ذلك كتاب تحفة الزمان الذي يعرف أيضاً باسم "فتوح الحبشة" الذي ألفه أحد علماء الزيلع المشهور باسم عرب فقيه، وهو شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني. وقد اتخذ هذا الفقيه الصومالي لقب (الجيزاني) بعد أن قتل الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي (القرين) على يد البرتغاليين والأحباش في عام ١٥٤٢م، فرحل هذا الفقيه المجاهد إلى جيزان بعد أن قتل إمامه على هذا النحو واستقر به المقام في جيزان وعرف فيها بهذا اللقب نسبة إلى هذه المدينة التي عاش فيها بقية عمره،(٨٧) وهناك أيضاً كتاب "السلوة في أخبار كلوة" الذي ألفه أحد علماء سلطنة كلوة باللغة العربية وحكى فيه موجز تاريخ هذه السلطنة، وأشار إلى أن مولده "كان يوم الاثنين من شهر شوال سنة أربع وتسعمائة للهجرة" (٨٨).

ومعنى ذلك أن الناس في هذه البلدان والأماكن التي أشرنا إليها من شرق أفريقيا كانوا يتكلمون ويؤلفون باللغة العربية، وذلك بجانب تحدثهم بلغتهم أو لغاتهم المحلية التي لم تكن لغة مكتوبة في ذلك الحين، مما جعلهم لا يكتبون إلا بالعربية وحدها. أما بقية الأفارقة، وخاصة قبائل البانتو في المناطق الداخلية في القارة، لم يتكلموا العربية، ولم يعرفوا منها إلا ما يكفيهم لأداء الشعائر والتكاليف الدينية الإسلامية إذا كانوا مسلمين. وكان كثير منهم قد دان بالإسلام في تلك العصور كما سبق القول.

لكن اللغة العربية بجانب أنها كانت لغة الدين والعبادة في بلاد البانتو في داخل القارة، فإنها كانت في بلادهم وفي جميع بلدان إفريقيا الشرقية لغة المعاملات التجارية، ولغة التعليم والتفقه في الدين، ولغة الإدارة، ولغة الكتابة في السجلات الحكومية، وهي اللغة الرسمية التي كان يستعملها السلاطين والحكام في مراسلاتهم ووثائقهم الحكومية، وهي لغة الوثائق الأهلية كعقود البيع والشراء وغير ذلك من المعاملات. وكان يمكن للغة العربية أن تنتشر على نطاق أوسع من ذلك بكثير وتجعل هذه المنطقة من القارة تصطبغ بالصبغة العربية الخالصة لولا وجود عقبات وصعوبات أدت إلى منع حدوث هذا التطور، وتسلم العصر الحديث هذه اللغة

على حالتها التي أشرنا إليها وهي حالة جيدة وقابلة للتطور، وبدلاً من إتاحة الفرصة للتخلص من هذه الصعوبات، فقد طرأت عوامل سياسية أدت إلى التصدي لها أي للغة العربية ومحاولة القضاء عليها مبرماً، وهذه العوامل السياسية تتمثل في الاستعمار الأوروبي الحديث الذي ابتليت به هذه المنطقة من القارة منذ مجيء البرتغاليين إليها في مطلع القرن السادس عشر للميلاد، واحتلالهم لها في ذلك الحين وتصديهم للإسلام العروبة واللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية بكل شراسة ووحشية.

أما الصعوبات أو العوامل التي أدت إلى عدم اصطباغ أفريقيا الشرقية بالصبغة العربية الخالصة، فيمكن أن نشير إليها في عدة نقاط. النقطة الأولى: هي أن أفريقيا الشرقية لم يفتحها الإسلام فتحاً عسكرياً عن طريق إرسال حملات تقيم دولاً وتنشئ سيطرة سياسية للعرب على أهل البلاد الأصليين كما حدث في مصر وشمالي أفريقيا على سبيل المثال، فلم يثبت أن العرب أو المسلمين أرسلوا أي حملات عسكرية إلى هذه البلاد طوال العصر الإسلامي والوسيط عدا الحملة التي أرسلها الأمويون واحتلت جزر دهلك في عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م، رداً على قرصنة الأحباش الذين كانوا قد قاموا بنهب السفن التجارية التي كانت تمر عبر البحر الأحمر ونزلوا في جدة في العام المذكور(٨٩)، وأثاروا الرعب والفزع في قلوب سكان مكة المكرمة، وكانوا يتخذون من هذه الجزر قاعدة لهم في القيام بهذه الأعمال العدوانية، واستمرت سيادة المسلمين على هذه الجزر طوال عصر بني أمية، ولكنها زالت في عصر الخلافة العباسية، وانسحب المسلمون منها بعد عصر الخليفة المأمون(٩٠).

وكما أشرنا فقد تسرب الإسلام والعرب المسلمون إلى أفريقيا الشرقية تسرباً سلمياً هادئاً وئيداً على امتداد العصر الإسلامي والوسيط في شكل تجار أو مهاجرين أو دعاة، ولذلك استغرق انتشار الإسلام فيها فترة طويلة، ولم تنتشر اللغة العربية بنفس السرعة التي انتشرت بها في أفريقيا الشمالية لهذا السبب، ولأنه لم تكن هناك دولة إسلامية واحدة تسيطر على أفريقيا الشرقية وترسم سياسة لنشر اللغة العربية والإسلام وتشجع على ذلك. فمصر على سبيل المثال قامت فيها حركة التعريب منذ القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، في عصر الوليد بن عبد الملك حينما أمر بتعريب الدواوين فيها في عام ٨٧هـ/ ٧٠٦م، بأن استبدل العربية باللغة اليونانية والقبطية في كتابة الوثائق والإدارة وأدى استمرار الحكم العربي فيها إلى القضاء على

هاتين اللغتين تماماً وخرجت اللغة العربية منتصرة، وأصبحت لغة المصريين جميعاً مسلمين ومسيحيين بعد قرنين من الزمان.

أما في أفريقيا الشرقية فلم تكن فيها دولة إسلامية موحدة تقوم بهذه السياسة، وما قام فيها من إمارات وسلطنات لم يكن خاضعاً أو تابعاً لدولة الخلافة الإسلامية سواء في عصر بني أمية أم في عصر بني العباس، بل بالعكس، فإن بعضاً من هذه الإمارات قامت نتيجة صدام كان قد حدث بين العناصر العربية التي أقامتها وبني دولة الخلافة ذاتها وأجبر هذا الصدام هذه العناصر على الهجرة إلى شرق أفريقيا وإقامة هذه الإمارات أو السلطنات، كما كان الحال مع سليمان وسعيد الجلنديين اللذين فرا من عمان إلى شرق أفريقيا وأقاما إمارة صغيرة في خليج لامو بعد أن هزما أمام إصرار الحجاج بن يوسف الثقفي على إخضاع بلادهم لنفوذه، أي نفوذ الخلافة الأموية كما سبق القول. كذلك كان الحال مع بني الحارث الذين فروا من منطقة الإحساء بالبحرين إلى ساحل الصومال وأقاموا سلطنة مقديشو. والحقيقة أن معظم الهجرات التي وفدت على شرق أفريقيا كان وفودها نتيجة خلافات سياسية أو مذهبية دينية اندلعت على أرض دولة الخلافة، وبالتالي فإن الإمارات التي أقامها هؤلاء المهاجرون لم تكن ولا يمكن أن تكون تابعة لدولة الخلافة، ومن ثم فقد كانت إمارات شبه معزولة عن المحيط الإسلامي الواسع من الناحية السياسية والأدبية بمعنى أنه لم يكن هناك تواصل بشكل قوي وفعال بينها وبين دولة الخلافة، مما أثر في وضعها العلمي واللغوي بالقياس إلى أي دولة عربية أو إسلامية تابعة لدولة الخلافة أو كانت متصلة اتصالاً قوياً بهذه الدولة.

والمثال على ذلك بلاد الزيلع (الصومال وجيبوتي وأريتريا الآن) التي كانت أقرب إلى بلاد العرب والمسلمين من الإمارات الإسلامية التي قامت جنوب مقديشو على الساحل الشرقي لأفريقيا. فهذه البلاد قامت فيها سلطنات أو ممالك إسلامية صغيرة مثل سلطنة شوا الإسلامية التي قامت في الجزء الشرقي من هضبة الحبشة وفي بعض بلاد الزيلع واستمرت أربعة قرون من الزمان (٢٨٣-٦٢٦هـ) ولم يشر إليها أي مؤرخ مسلم لا من قريب أو من بعيد، ولم نعرف بوجودها إلا من قريب عندما عثر تشيرولللي الإيطالي في عام ١٩٢٦م، على وثيقة عربية تتحدث عن الخمسين عاماً الأخيرة من عمر هذه السلطنة(٩١).

كما قامت في الشرق والجنوب من السلطنة المذكورة سلطنات وممالك إسلامية زيلعية تعرف باسم ممالك الطراز الإسلامي، وهي سلطنة أوفات ومملكة أرابيني، ومملكة دوارو، ومملكة بالي، ومملكة دارة، ومملكة هدية، ومملكة شرخة، وكانت هذه الممالك والسلطنات موجودة في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، واستمرت حتى نهاية العصور الوسطى، واستمر بعضها بعد ذلك(٩٢)، ولكنها هي الأخرى كانت في شبه عزلة عن العالم الإسلامي الواسع، وعن مصر التي كانت تتزعم هذا العالم في ذلك الحين، ولذلك لم يكن غريباً أن قال ابن فضل الله العمري إن "ملوك الزيلع السبعة لم يرد منهم كتاب ولا صدر إليهم خطاب"(٩٣) يقصد عدم اتصالهم بسلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاون في ذلك الحين.

كذلك كان الحال بالنسبة لسلطنة مقديشو أو سلطنة بني نبهان في بات وغيرها من السلطنات الإسلامية التي قامت على الساحل الشرقي لأفريقيا، إذ لم نعرف أخبارها إلا من التراث الشعبي السواحلي أو من مدونات غير عربية غير معاصرة ومتأخرة جداً. والنتيجة أنه بسبب هذه العزلة أو شبه العزلة لم يحدث احتكاك حضاري أو علمي وثقافي كبير بين علماء هذه البلاد وبين غيرهم من علماء البلدان الإسلامية الأخرى، وكان لذلك تأثير بالطبع على عدم تمكن اللغة العربية من نفوس الأفارقة بشكل كامل.

زد على ذلك أن هذه السلطنات شبه المعزولة عن العالم الإسلامي الواسع سادتها علاقات التنافس بل وصراع بعضها مع البعض في كثير من الأحيان. ففي ممالك الزيلع السبعة كان التنافس بينها هو السمة الغالبة على معظم فترات تاريخها، بسبب الصراع على الزعامة أو على نقل السلع التجارية، أو بتحريض من ملوك الحبشة. وفي ذلك يقول ابن فضل الله العمري إن "كلمتهم متفرقة، وذات بينهم فاسدة، ولو اتفقت كلمتهم واجتمعت ذات بينهم لقدروا على المدافعة أو التماسك، ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف وافتراق الكلمة بينهم تنافس، منهم من يترامى إلى صاحب أمحرة (يقصد ملك الحبشة) ويميل إليه بالطباع...الخ"(٩٤) ولم تكن هذه الممالك تنقاد لكبراهن وهي سلطنة أوفات إلا عندما تشعر بخطر الأحباش يقترب منها، فهي "تعظم صاحب أوفات وتنقاد له بالمعاضدة في بعض الأوقات"(٩٥). وبذلك تكون هذه الممالك الزيلعية قد جمعت بين عدم الاتصال الفاعل بينها

وبين الدول الإسلامية الأخرى وبين تنافسها فيما بينها، ولذلك قل محصولها الثقافي إلى حد كبير، وتأثرت بذلك اللغة العربية التي هي أداة التعبير عن هذا المحصول بطبيعة الحال.

و النتيجة نفسها يمكن أن نخرج بها بالنسبة للسلطنات والإمارات التي قامت على الساحل الشرقي لأفريقيا جنوب مقديشو، فقد قامت المنافسات التجارية بين سلطنات مقديشو وكلوة وبات، يضاف إلى ذلك التنافس السياسي الذي قام فيما بينها بسبب طمع بعض حكامها في التوسع على حساب السلطنة المجاورة، بل إن بعض المدن اشتهرت بصراعها مع المدينة الأخرى مثلما حدث بين مالندي وممبسة لدرجة أن الأولى ارتمت في أحضان البرتغاليين نكاية في الثانية التي صمدت لهم وكانت على علاقات عدائية مع غريمتها[٩٦]. وهذا التنافس وهذا الصراع كان لا بد وأن تنعكس آثاره في النواحي السياسية والثقافية، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على اللغة العربية التي لم تجد من يأخذ بيدها إلا الفقهاء وعلماء الدين وبعض الحكام والسلاطين، وإلا أين المحصول الثقافي الوفير الذي تركه هؤلاء الناس؟

وقد ساعد على ذلك أيضاً ما حدث من صراع بين القوى الإسلامية في بلاد الزيلع وبين الأحباش الذين أرادوا أن يقضوا عليهم وعلى إسلامهم وعلى ثقافتهم العربية والإسلامية، وما حدث من صراع بين القوى الإسلامية على الساحل الشرقي للقارة وبين البرتغاليين الذين أحرقوا مدنهم وحولوا ازدهارها إلى بوار. وعلى سبيل المثال فقد أحرقوا وأعملوا السيوف في مدينة كلوة وطردوا أهلها من ديارهم ودمروا مساجد لامو وبات وقتلوا الشيوخ، وفرضوا الغرامات الباهظة، واستطاعوا في سنوات قلائل بالسيف والتعذيب وإراقة الدماء أن يقضوا على المؤسسات التجارية التي أنشأها العرب في تلك البلدان. كما ضربوا مقديشو بالقنابل وخربوا مدينة براوة الصومالية تخريباً، وذبحوا كثيراً من رجالها، وأخذوا منهم الكثير أسرى ونهبوا ما في المدينة من ذهب وفضة وسلع[٩٧].

أما الأحباش فقد فعلوا بالعرب والزيالعة المسلمين في بلاد الزيلع والحبشة ومنطقة القرن الإفريقي بصفة عامة الأفاعيل، فدمروا مدنهم تدميراً وأحرقوا مصاحفهم وخربوا مساجدهم وقتلوا سلاطينهم وعزموا على ألا يبقى بالحبشة وبلاد الزيلع مسلم قط. وكما يقول المقريزي فقد " أوقعوا بالمسلمين وقائع نزل بهم فيها من القتل والأسر والسبي والاسترقاق ما

لا يمكن التعبير عنه"، وكتبوا إلى ملوك الفرنج يحثونهم على ملاقاتهم والتعاون معهم لإزالة دولة الإسلام في كل مكان(٩٨)، وأمروا بإعدام ونفي كل من أبى الدخول في المسيحية من المسلمين في الحبشة،(٩٩) أما في بلاد الزيلع فقد أرغموا الكثير من الأمراء الزيالعة والسكان على التنصر، وخاصة بعد محاربتهم والانتصار عليهم، مثلما حدث لحاكم مملكة بالي الإسلامية وغيره من الأمراء الزيالعة(١٠٠). وبطبيعة الحال لا بد وأن ينشغل المسلمون في هذه البلاد بذلك العدوان الصليبي المستمر عليهم في معظم فترات العصور الوسطى، فقاموا بالدفاع عن أنفسهم بقدر ما وسعتهم المقاومة، واستغرقوا جهدهم في ذلك كل الاستغراق، ومن ثم قل محصولهم الثقافي إلى حد كبير، وتأثرت بذلك اللغة العربية بطبيعة الحال، فلم يكتب لها الانتصار على اللغات المحلية لتصبح لغة الحديث الوحيدة بينهم.

يضاف إلى هذه العوامل قلة عدد العرب الذين هاجروا إلى أفريقيا الشرقية بالنسبة لأعداد الأفارقة، واختفاء الدماء العربية إلى حد كبير نتيجة لعمليات التزاوج المستمر بين القادمين من العرب وبين الإفريقيات حيث إن معظم المهاجرين أو التجار العرب لم يكونوا يصحبون معهم نساءهم، ومن خلال الزواج المستمر بالمواطنات الإفريقيات بدأت العناصر العربية تختفي وامتصتها الدماء المحلية بالتدريج ونجحت البيوت العربية الحاكمة وقليل من الأسر العربية في الاحتفاظ بنقائهم العرقي لبضعة أجيال(١٠١)، ومهد هذا الأمر في ساحل شرق أفريقيا لظهور لغة جديدة هي اللغة السواحلية التي تكلمها الجميع عرباً وأفارقة، وظلت العربية لغة الإدارة ولغة العلم والتعليم واللغة الرسمية للأسرات الحاكمة في الساحل الشرقي للقارة، وكانت بجانب ذلك لغة الحديث في منطقة القرن الأفريقي نظراً لكثرة من هاجر إليه بالمقارنة للمنطقة الساحلية جنوب مقديشو، ولكنها لم تكن اللغة الوحيدة التي تكلم بها الناس، وإنما كان بجانبها اللغات المحلية الأخرى. ونتج عن ذلك كله أن أفريقيا الشرقية سواء في منطقة القرن الأفريقي أو في الساحل الشرقي لأفريقيا لم تصطبغ بالصبغة العربية الخالصة كما حدث في مصر أو شمال القارة في بلاد المغرب العربي.

وهكذا كان للعرب فضلهم الكبير ودورهم الواضح في نشر اللغة العربية في أفريقيا الشرقية في العصر الإسلامي والوسيط على النحو الذي أشرنا إليها، وللأسباب التي تحدثنا عنها وأدت إلى هذه النتيجة، وهي نتيجة تغيرت كثيراً في العصر الحديث والمعاصر بسبب خضوع هذه المنطقة للاستعمار الأوروبي حتى منتصف القرن العشرين.

الهوامش ومصادر البحث ومراجعه

(١) جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٢٧، ص ٢٤، محمد أبو العلا محمد: موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها المكانية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥ ص ٣٥-٣٦ .

(٢)جيان: نفس المرجع، ص ٢٦، ٤٤، محمد أبو العلا محمد: نفس المرجع، ص ٣٥ .

(٣) من الأدلة الأثرية والتاريخية على وجود العرب في أفريقيا الشرقية قبل الميلاد ما أسفرت عنه بحوث بيترزا التي قام بها بين عامي ١٨٩٩، ١٩٠١م، في المناطق الواقعة بين المجرى الأدنى لنهر الزمبيزي والمجرى الأسفل لنهر سابي من أنه كانت هناك جالية حميرية تعيش في المنطقة الواقعة بين نهري الزمبيزي واللمبوبو منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وأن هؤلاء الحميريين هم أول من حفر مناجم الذهب في زيمبابوي وبنوا ما يتصل بها من قلاع لا تزال آثارها باقية حتى الآن. بل إن هناك من الشواهد ما يدل على أن شعوب بلاد الرافدين وصلوا إلى شرق أفريقيا منذ عهد سرجون الأكادي الذي تولى حكم بلاد الرافدين حوالي عام ٢٧٠٩ق.م. مما يؤكد أيضاً وصول العرب إلى ساحل شرق أفريقيا أن هذا الساحل عرف قبل الميلاد باسم ساحل عزانيا أو أزانيا Azaniaوهو اسم ذو أصل عربي إذ أنه إما تحريف لكلمة خزائن العربية حيث كان اسم بر الخزائن يطلق على جزء من هذا الساحل في بلاد الصومال ثم عمم ليشمل الساحل كله، أو أنه نسبة إلى أحد الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي ظهرت في إحدى مناطق جنوب الجزيرة العربية واندثرت عام ٦٠٠ ق.م. يضاف إلى ذلك أن البروفيسور ميلر Millerوهو الأثري المتخصص في آثار الجزيرة العربية أشار إلى نهر سابي الذي يبعد كثيراً عن مدينة زيمبابوي وقال إنه ليس إلا اسماً محرفاً من كلمة سبأ، وهو اسم الدولة العربية التي قامت في بلاد اليمن قبل الميلاد بقرون عددية وكانت لها علاقات تجارية مع أهالي زيمبابوي منذ ذلك التاريخ: انظر:

حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص ١٢٨، ١٤١، جيان: نفس المرجع، ص ٥٢، ٥٠ . دافدسون: أفريقيا تحت أضواء جديدة، بيروت، بدون تاريخ ص ٢٤١، جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، مجلة كلية آداب عين شمس، عدد ١٠، ١٩٦٧م، ص ٢٨٠ . شوقي الجمل: حضارة زيمبابوي مجلة الدراسات الأفريقية، العدد (٦) ١٩٧٧م، ص ٥، رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مكتبة العلوم، مسقط ١٩٨٩، ص ١٦٦-١٦٨ .

(٤) جيان: نفس المرجع، ص ٤٤، دافدسون: نفس المرجع: ص ٢٤٦، ٢٧٦، شوقي الجمل: نفس المرجع، ص ١٦ .

(٥) جيان: نفس المرجع، ص ٦٢، محمد النقيرة: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، الرياض، ١٩٨٢، ص ٢٨, Pearce: Zanzibar, London, ١٩٢٠, p. ٣٤.

(٦)دافدسون: نفس المرجع، ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٧) Murpyh: History of African of African Civilization, New York, 1927 , p.228.

(٨)المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨، ج١، ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٦، ١١، ١٥٤، ١٥٩ .

(٩) بزرك بن شهريار الرامهرمزي: عجائب الهند، ليدن، ١٨٨٦م، ص ٥٠، ٥١ .

(١٠) ابن بطوطة: رحلته، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥، ج١، ص ٢٨٥ .

(١١) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٩ .

(١٢) الحميري: الروض المعطار، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ٧٤ .

ابن الوردي: جريدة العجائب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦١ .

(١٣) بزرك: نفس المصدر: ص ٦٠ .

(١٤) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م، ص ١٨٧ .

(١٥) March & Kingnorth: An Introduction to the History of East Africa, Cambridge, 1061. pp. 9.11

أفادت بعض الأدلة الأثرية بوجود طرق داخلية كانت تربط ساحل أفريقيا الشرقي بالمناطق الداخلية في العصور الوسطى والإسلامية. فقد كتب ولسن في عام ١٩٣٢ عن ثلاث طرق داخلية ربطت بين تنجانيقا وبين بحيرة نياسا، وعثر على طريق رابع يعتبر من أطول الطرق التي عثر عليها في هذه المنطقة، وهو الطريق الذي يرجح أن يكون قد ربط بين مدخل بحيرة نياسا صور إبيرتون في زيمبابوي مع أروشا ونيروبي في كينيا. وقد كتب غير ولسن عن طرق أخرى قديمة بين أرنقا ومدخل بحيرة نياسا، ويمتد عرض واحد من هذه الطرق العديدة إلى تسعة أقدام، وتحده على الجانبين حجارة مرصوفة، أنظر: دافدسون: نفس المرجع، ص ٣٠٤، ٣٠٥ .

(١٦) المرجع السابق، ص ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٢-٣٠٥، ٣٩٩، ٤٠٠ .

(١٧) Lewis: Islam in Tropical Africa, London 1980, p.31.

(١٨) وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، ص ٢٧٤ .

(١٩) شوقي الجمل: نفس المرجع، ص ١٢، ١٣، جيان: نفس المرجع، ص ٢٧٤ .

Lucy Mair: African Kindoms, Oxford,1979,p.12& Murphy: Op CIT., p.232.

(٢٠) محمد الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص ١٠٨,

Freeman-Grenville: the East African Coast (Selected documents from the East Earlier Nineteenth Century), Oxford, q96c, p.21

(٢١) Gideon and derek: East Africa through a thousand years, Kinya,

(٢٢) Freeman-Grenville: op.Cit.,26

(٢٣) ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ج٣، ص ١٤٢ .

(٢٤) سعيد المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، القاهرة ١٩٧٩، ص ٩١، ٢٠٣ .

(٢٥) ستودارد: نفس المرجع، ج٣، ص ١٤٢-١٤، ، ١٨١ سعيد المغيري: ص ٩٣ .

(٢٦) محمد ناصر العبودي: مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين، الرياض، ١٩٨١، ص ٢٢، ستودارد: نفس المرجع، ج٣، ص ١٣٩ .

(٢٧) محمد ناصر العبودي: نفس المرجع، ص ٢٥ .

(٢٨) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ص ٨٤، تعليق رقم ٢٥، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢٩) المسعودي: نفس المصدر، ج١، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٣٠) وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، ص ، ٥١٤

(٣١) حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ص ١٨٤-١٨٥، ٢٤٢ .

(٣٢) الطبري: تاريخه، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ج٢، ص ٣٢٨، ٣٢٩، محمد محمد أمين وآخرون: العلاقات العربية الإفريقية، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٩ .

(٣٣) وثيقة تشيروللي: ضمن كتاب الإسلام في اثيوبيا للدكتور زاهر رياض، ص ٧٣ .

(٣٤) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٣، ص ٤٢٩-٤٣١، رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥، ص ٦٧-٧٠ .

(٣٥) ابن خلدون: تاريخه، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦، ج٦، ص ١٠ .

Jones and Monroe: A History of Abyssinia, Oxford,1935, p.48

(٣٦)عرب فقيه: فتوح الحبشة، القاهرة ١٩٧٤، ص ٣٢٢، حسن محمود: نفس المرجع، ص ٤٣٣ .

(٣٧) المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة، ١٩٨٥، ص ، ٩

(٣٨) عرب فقيه: نفس المصدر، ص ٧٢،٩٢، ٩٣، ١٠٩، ١١١، ١٢٠، ١٢٢، ٢٤٢، ٣٣٩، ٣٤٨ .

(٣٩) محمد عثمان أبو بكر: تاريخ أريتريا المعاصر، القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤ .

(٤٠) المرجع السابق، ص ٣٠٤ .

(٤١) حسن محمود: نفس المرجع، ص ٣٩٧، مجهول: تاريخ أهل عمان، مسقط، ١٩٨٠، ص ٤٧ .

سالم السيابي: عمان عبر التاريخ، مسقط ١٩٨٢، ج٢، ص ٨-١٥ .

(٤٢) حسن محمود: نفس المرجع، ص ٤٣٦-٤٣٧ .

(٤٣) جيان: نفس المرجع، ص ٨٤، ٨٥، ٩٤ .

Reusch: History of East Africa, Stuttgart,1954, p. 85

(٤٤)رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٢٧٩ .

(٤٥) حسن محمود: نفس المرجع، ص ٣٩٩، ٤٢٨، ترمنجام: الإسلام في شرق أفريقيا، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣، ص ٤٥، ٤٦، سعيد المغيري: ص ,٨٩

(٤٦) Lewis: op. Cit., p. ١٢ & Gideonand Derek: op. Cit., p. ١٢.

(٤٧) رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ص ٥٧-٦٠.

(٤٨) المرجع السابق، ص ١٧، ١٨، ٦-٦٥ .

(٤٩) المرجع السابق، ص ١٨-٢٠، ١٥٢-١٦٧، ٢٠٦-٢٠٩ .

(٥٠) ابن بطوطة : نفس المصدر ج١، ص ٢٨٠، ٢٨١، جيان، ص ١٨٤، ١٥، أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠، ص ٣٧٨، Gideon & derek: op, cit., p. ٢١.

(٥١) حسن محمود: نفس المرجع، ص ٤٢٨، جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، مجلة آداب عين شمس، عدد ١٠، ١٩٦٧، ص ٣١٣، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية: مجلة معهد الدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ٦٣ .

(٥٢) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٨-٨٢، السلوة في أخبار كلوة، لمؤلف مجهول، ص ٢٧-٣٥ .

(٥٣) وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية، ص ٢٢٣، ٢٢٤ .

(٥٤) أحمد علي أحمد: كلوة تاريخها وحضارتها من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر للميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٧٤، ,٢٠٧

(٥٥) دافدسون: نفس المرجع، ص ٢٨٢ .

(٥) Murphy: op. Cit., p.234 & Marsh and Kingsnorth: op. Cit., p. 7

(٥٧) دولت صادق: شرقي أفريقيا، دراسة في جغرافية الإسلام، بحث في كتاب " بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول "، الرياض، ١٩٨٤، ج٤، ص ١١ .

(٥٨) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٢٨٤ .

(٥٩) حسن محمود، نفس المرجع، ص ٥٥، محمد النقيرة: نفس المرجع، ص ٦٤، ١٤٢ .

(٦٠) حسن محمود، نفس المرجع، ص ٥٦ .

(٦١) محمد النقيرة، نفس المرجع، ص ١٤٢ .

(٦٢) حمدي السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً، القاهرة، بدون تاريخ، ج١، ص ٤٢٦ .

(٦٣) السلوة في أخبار كلوة، مسقط، ١٩٨٥، ص ٥١ .

(٦٤) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٢٨٠١ .

(٦٥) المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٤- ,٢٨٥

(٦٦) ستودارد: نفس المرجع ج٣، ص ١٤٥، ١٥١-١٥٣ .

(٦٧) حمدي السيد سالم: نفس المرجع، ج١، ص ٣٦٥ .

(٦٨) المرجع السابق، ص ٣٥٩ .

(٦٩) محمد عبد المنعم يونس: نفس المرجع، ص ١٠١-١٠٣ .

(٧٠) عرب فقيه، نفس المصدر، ص ٧٢،٩٢، ٩٣، ١٠٥، ١١٠، ١٢٠، ١٢٢، ٢٤٢، ٣٣٩، ٣٤٨ .

(٧١) السلوة في أخبار كلوة، ص ٣٣ .

(٧٢) سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصري، عدد ١٤، سنة ١٩٦٨، ص ٧-٨ .

(٧٣) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ٢٢٥ .

(٧٤) المصدر السابق، ص ٢٢٧-١١٩ .

(٧٥) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة ١٩٧٩، ج١، ص ١٥٣ .

(٧٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٠-٤١ .

(٧٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٥٥-٥٥٦ .

(٧٨) المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦ .

(٧٩) المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٤، ٣٦٧ .

(٨٠) المصدر السابق، ج١، ص ٢٢١ .

(٨١) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥١ .

(٨٢) تاريخ ثغر عدن، ص ١١٦ .

(٨٣) ابن بطوطة، ج١، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢ .

(٨٤) المصدر السابق، ج١، ص ، ٢٨٢

(٨٥) فتوح الحبشة (تحفة الزمان)، ص ٩٢، ٩٣، ١٠٩، ١١١، ٣٣٩، ٣٤٨ .

(٨٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٢٨٠، ٢٨١ .

(٨٧) عرب فقيه: نفس المصدر، مقدمة المستشرق رينيه باسيه للكتاب.

(٨٨) السلوة في أخبار كلوة، ص ٥١ .

(٨٩) Jones and monroe: op. Cit., pp.45-6

(٩٠)حسن محمود: نفس المرجع، ص ٣٨٨-٣٩١ .

(٩١) رجب عبد الحليم: نفس المرجع، ص ٢٣-٢٥ .

(٩٢) المقريزي: الإلمام، ص ٦ .

(٩٣) ابن فضل الله العمري: التعريف بفن المصطلح الشريف، القاهرة، ١٩١٠، ص ٣١ .

(٩٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: مخطوط بدار الكتب المصرية، ج٢، ق٣، ورقة ٤٧٧ .

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، ص ٣٣٢، ٣٣٣ .

(٩٥) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢، ق٣، ورقة ٤٨٤ .

(٩٦) جيان: نفس المرجع، ص Murphy: op. Cit., p. 236.246.217

(٩٧)دافدسون: نقس المرجع، ص ٢٦٦، ٢٦٩ .

(٩٨) المقريزي: الإلمام، ص ٥، ١٣، ١٦ .

القلقشندي: ج٥، ص ٣٦ .

(٩٩) أرنولد: نفس المرجع، ص ١٣٦ .

(١٠٠) لمعرفة المزيد عن التنصير الإجباري الذي فرضه الأحباش على المسلمين في منطقة القرن الأفريقي، وعن الحرب التي شنوها ضدهم طوال العصور الوسطى: انظر

رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ص ١٢١-١٢٦، ١٣٣-٢١١ .

(١٠١) Reusch: op. Cit., p.76

قائمة مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر العربية القديمة:

باخرمة: عمر عبد الله (ت ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م)

١ - تاريخ ثغر عدن، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩١م.

بزرك: (بن شهريار الرامهرمزي، عاش في القرنين الثالث والرابع للهجرة).

٢ - كتاب عجائب الهند، جمع مادته بين عامي ٢٨٨ و٢٩٣هـ ليدن، سنة ١٨٨٦م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٣٧م).

٣ - رحلة ابن بطوطة، ج١، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٥م.

الحميري: محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (قرن ٩هـ/ ١٥م).

٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار، جمعة عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦م، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

٥ - العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٦٦م.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن المصري الشافعي (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩١م).

٦ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ٢، ٣، القاهرة، سنة ١٩٧٩،

ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٧ - كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة بيروت، بدون تاريخ.

الطبري: الإمام محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٨ - تاريخ الطبري، ج٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة بيروت.

عرب فقيه: شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم الجيزاني الشهير بعرب فقيه (عاش في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي).

٩ - فتوح الحبشة المعروف أيضاً باسم تحفة الزمان، نشر رينيه باسيه، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٤٧٩هـ/ ١٣٤٨م).

١٠ - التعريف بفن المصطلح الشريف، القاهرة، سنة ١٩١٠م.

١١ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، قسم ٣ مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة.

١٢ - صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج٥، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، بدون تاريخ.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

١٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، تقديم د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، صن ١٩٨٦م.

المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م.

١٤ - الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مصر، سنة ١٨٩٥م.

مؤلف مجهول:

١٥ - تاريخ أهل عمان، مسقط، سنة ، ١٩٨٠

مؤلف مجهول: (ولد عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م).

١٦ - السلوة في أخبار الكلوة، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث، مسقط، سنة ١٩٨٥م.

ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

١٧ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب، طبع شركة الطباعة الفنية الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة الحديثة:

أحمد علي أحمد:

١٨ - كلوة، تاريخها وحضارتها من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر للميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

ترمنجهام: سبنسر:

١٩ - الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة محمد عاطف النواوي، الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٣م.

تشيرولي: مستشرق إيطالي:

٢٠ - وثيقة تشيرولي، ضمن كتاب الإسلام في أثيوبيا للدكتور زاهر رياض، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.

توماس أرنولد:

٢١ - الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، دار النهضة المصرية، القاهرة، ٣، سنة ١٩٧٠م.

جمال زكريا قاسم: (دكتور):

٢٢ - استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، عدد ١٠، سنة ١٩٦٧م.

٢٣ - الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مجلة معهد الدراسات العربية بالقاهرة، سنة ١٩٧٥م.

جيان: الأدميرال:

٢٤ - وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة الأمير يوسف كمال، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٢٧م.

حسن إبراهيم حسن:

٢٥ - انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٤م.

حسن أحمد محمود:

٢٦ - الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٣م.

حمدي السيد سالم:

٢٧ - الصومال قديماً وحديثاً، ج١، القاهرة، بدون تاريخ.

حوراني: جورج فاضلو

٢٨ - العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

دافدسون: بازل

٢٩ - أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، دار الثقافة للتوزيع والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

دولت صادق: (دكتور)

٣٠ - شرق أفريقيا، دراسة في جغرافية الإسلام، بحث ضمن كتاب، (بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، ج٤، الرياض، سنة ١٩٨٤م.

رجب محمد عبد الحليم:

٣١ - العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٨٥م.

٣٢ - العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مكتبة العلوم، مسقط، سنة ١٩٨٩م.

سالم بن حمود السيابي:

٣٣ - عمان عبر التاريخ، ج٢، وزارة التراث، مسقط، سنة ١٩٨٢م.

ستودارد:

٣٤ - حاضر العالم الإسلامي، ج٢، ترجمة وتعليق وإضافة شكيب أرسلان، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

سعيد عبد الفتاح عاشور: (دكتور)

٣٥ - بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، عدد ١٤، سنة ١٩٦٨م.

سعيد علي المغيري:

٣٦ - جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، طبع مصر، سنة ٩٧٩م.

شوقي عطا الله الجمل (دكتور):

٣٧ - حضارة زيمبابوي، مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، عدد ٦، سنة ١٩٧٧م.

عبد الرحمن زكي (دكتور):

٣٨ - الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، القاهرة، بدون تاريخ.

محمد أبو العلا محمد: (دكتور)

٣٩ - موقع عمان الجغرافي وعلاقاتها المكانية، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٠٨٥م.

محمد أحمد مشهور الحداد: (دكتور)

٤٠ - حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية، دار الفتح، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٣م.

محمد عبد الله النقيرة: (دكتور)

٤١ - انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، سنة ١٨٢م.

محمد عثمان أبو بكر:

٤٢ - تاريخ أريتريا المعاصر، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.

محمد محمد أمين وآخرون: (دكتور)

٤٣ - العلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

محمد ناصر العبودي:

٤٤ - مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين، الرياض، سنة ١٩٨١م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Freeman-Grenville:

45- The East African Coast (selected documents from (East Africa from the first to the Earliar Ninteenth Century)1962.

Gideon and Derek:

46- East Africa through a thousand Years Kenya, 1973

Jones and Monreo:

47- A history of Abyssinia, oxford,1934

Kingsnorth:

48- Africa South of the Sahara, Cambridge,1962 .

Lweis:

49- Islam in Tropical Africa, London, 1980.

Lucy Mair:

50- African Kingdoms, Oxford, 1979.

Marsh & Kingsnorth:

51- An Introduction to the History of East Africa, Cambridge,1961

Murphy:

52-History of African Civilization, New York, 1972

Pearce:

53 - zanzibar, London, 1920.

Reurch:

54- History of East Africa, stuttgart, 1945.